بـاب
ذكر وفاة[1] النبى / ﷺ

١٥٢ظ

رَوَى وكيع ، عن سفيان ، عن عاصم ، عن ابن أبى رُزَين ، عن ابن عباس ، قال : لما نزلتْ : (إذا جاء نَصْر الله والفتح – السورة[2] كلها) علم النبى – عليه السلام – أنه قد نُعِيَتْ إليه نفسه .

وسأل عمر ابن عباس عن هذه السورة ، فقال : يقول له : اعلم أنك ستموت عند ذلك ، فقال عمر : لله دَرُّك يا بنَ عباسٍ ، إعجابًا بقوله . وقد كان سأل عنها غيره من كبار الصحابة فلم يقولوا ذلك

ثم لما دنتْ وفاته أخذه وجعه فى بيت مَيْمونة ، فخرج إلى أهل أُحُد ، فصلَّى عليهم صلاته على الميت[3] .

وكان أول ما يشكو فى علته الصُّداع ، فيقول : وارَأْساه . ثم لما اشتد به وجعه استأذن أزواجه أن يمَّرض فى بيت عائشة ، فأذنَّ له فى ذلك . فمُرِّض فى بيت عائشة إلى أن مات فيه ﷺ . وكان يقول فى مرضه ذلك لعائشة : مازلت أجد ألم الطعام الذى أكلته بِخَيْبر[4] ، مازالت تلك الأكلة تعاودنى ، فهذا أوان قطعت أبْهَرِى[5] . وأُغْمى عليه ،

---

(١) انظر فى وفاة النبى ابن هشام ٢٩١/٤ ، ٢٩٨ وما بعدها وابن سعد ج٢ ق٢ ص ١٠ وما بعدها والبخارى ٩/٦ والطبرى ١٨٣/٣ وابن حزم ص٢٦٢ وابن سيد الناس ٣٣٥/٢ وابن كثير ٢٢٣/٥ .

(٢) هى آخر سور القرآن نزولاً على الرسول ، وفى بعض الأحاديث أنه قال لجبريل حين نزل عليه بها ، نعيت إلى نفسى فأجابه : وللآخرة خير لك من الأولى .

(٣) كأنما كانت هذه الصلاة بعد سبع سنين من موتهم وداعًا للأموات والأحياء معًا .

(٤) يشير إلى الشاة المشوية التى أطعمتها إياه امرأة سلام بن مشكم على نحو ما مر بنا فى غير هذا الموضع .

(٥) الأبهر : عرق مستبطن بالصلب يتصل بالقلب فإذا انقطع مات صاحبه . وكان بعض الصحابة مثل ابن مسعود يرون أنه – صلى الله عليه وسلم – مات شهيدًا .

١٥٣ و فظنوا أن به ذات الجَنْب فلَدُّوه[١] . وكان/العباس الذى أشار بذلك ، فلما أفاق أنكر ذلك عليهم ، وأمر بالقِصاص فى ذلك منهم - واستثنى العباس برأيه - فلُدَّ كل من حضر فى البيت إلا العباس[٢] .

وأوصاهم فى مرضه بثلاث : أن يُجيزوا الوفد بنحوٍ مما كان يجيزهم به[٣] وأن لا يتركوا فى جزيرة العرب دينين ، [قال] : أخرجوا منها المشركين ، والله الله [فى] الصلاة ، وما ملكت أيمانكم فأحْسِنوا إليهم . وقال : لعن الله اليهود اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد .

وقال لهم : هلمُّوا أكتبْ لكم كتابا لا تضلوا بعده أبدا . فاختلفوا وتنازعوا واختصموا ، فقال : قوموا عنى ، فإنه لا ينبغى عندى تنازع . وكان عمر القائل حينئذ : قد غلب عليه وجعه ، وربما صَحَّ[٤] ، وعندكم القرآن . فكان ابن عباس يقول : إن الرزيَّة كل الرزية ما حال بين رسول الله - ﷺ - وبين أن يكتب ذلك الكتاب ، لاختلافهم ولغَطهم[٥] .

وسارَّ فاطمة - رضى الله عنها - فى مرضه ذلك ، فقال لها : إن جبريل كان يعرض علىَّ القرآنَ كل عام مرةً وإنه عرضه علىَّ العام مرتين ، وما أظن إلا أنى ميت/من مرضى ١٥٣ ظ هذا ، فبكت ، فقال لها : ما يسرُّك أنك سيدة نساء أهل الجنة ما عدا مريم بنت عمران ، فضحكت .

وكان يقول فى صحته : ما يموت نبى حتى يُخَيَّر ويرى مقعده[٦] . روته عائشة .

---

(١) لدوه : من اللد وهو وضع الدواء فى شق الفم . وفى ابن سعد ج٢ ق٢ ص٣١ أنهم لدوه بالعود الهندى وبشىء من ورس وقطرات زيت .

(٢) ذكر السهيلى فى الروض الأنف ٢ : ٣٦٩ أن ظاهر كلام ابن إسحق أن العباس كان حاضر الرسول ثم يقول : وفى الصحيحين أن رسول الله قال : لا يبقين أحد بالبيت إلا لد ، إلا عمى العباس فإنه لم يشهدكم . يقول السهيلى : وهذه أصح من رواية ابن إسحق .

(٣) أن يجيزوا : أن يعطوا من الجائزة ، وهى العطية .

(٤) صح : زال عنه المرض .

(٥) قال ابن حزم فى جوامع السيرة ص ٢٦٤ : لا شك فى أنه لو كان هذا الكتاب من واجبات الدين ولوازم الشريعة لم يثنه عنه كلام عمر ولا غيره . واستظهر ابن حزم أن يكون الكتاب الذى أراد الرسول كتابته هو استخلافه لأبى بكر لقوله لعائشة : لقد هممت أن أبعث إلى أبيك وأخيك فأكتب كتابًا وأعهد عهدًا لئلا يتمنى متمن أو يقول قائل ، ويأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر .

(٦) أى يخير بين الحياة والموت ويرى مقعده من الجنة .

قالتْ : فلما اشتد مرضه جعل يقول : مع الرَّفيق الأعلى ، مع النبيين والصِّدِّيقين والشهداء والصالحين وحَسُنَ أُولئك رفيقا .

وقال حين عجز عن الخروج إلى المسجد : مُرُوا أبا بكرٍ فَلْيُصَلِّ بالناس . وخرج يوما من أيام مرضه إلى المسجد تخطُّ رجلاه فى الأرض ، يحمله رجلان أحدهما علىٌ والآخر العباس ، وقيل الفضل بن عباس .

وقال فى مرضه : هَرِيقوا[١] علىَّ سن سبع قِرَب لم تُحْلَلْ أَوْكيتهن[٢] لعلِّى أعهد إلى الناس ، فأُجْلِس فى مِخْضَبٍ[٣] لحَفْصة ، ثم صُبَّ عليه من تلك القِرب ، حتى طفق يشير بيده أنْ حَسْبُكم . ثم خَرج إلى الناس فصلَّى بهم . وقد أوضحنا معانى صلاته فى مرضه بالناس مع أبى بكر[٤] ومكان المقدَّم منها وما يصحُّ فى ذلك عندنا فى كتاب التمهيد ، وبالله توفيقنا .

وأصبح الناس يوما يسألون عليا والعباس عن /حال رسول الله ﷺ ، وقد اشتدت به ١٥٤ و
الحال . فقال على : أصبحَ بحمد الله بارئا . فقال العباس : ما الذى تقول ؟ والله لقد رأيت فى وجهه من الموت ما لم أزل أعرفه فى وجوه بنى عبد المطلب ، ثم قال له : يا علىّ اذهبْ بنا نسأله فيمن يكون هذا الأمر بعده . فكره علىٌّ ذلك ، فلم يسألاه . واشتد به المرض ، فجعل يقول : لا إله إلا الله ، إن للموت لسكرات . الرفيق الأعلى ، فلم يزل يقولها حتى مات .

ومات ﷺ يوم الاثنين بلا اختلاف ، قيل : فى وقت دخوله المدينة فى هجرته حين اشتدَّ الضُّحَى فى صدْر[٥] ربيع الأول سنة إحدى عشرة لتمام عشر سنين من الهجرة . ودُفن يوم الثلاثاء ، وقيل : بل دُفن ليلة الأربعاء . ولم يحضر غَسْله ولا تكفينه إلا أهل بيته ، غسله على ، وكان الفضل بن عباس يصبُّ عليه الماء ، والعباس يعينهم . وحضرهم

---

(١) هريقوا : أريقوا وصبوا .

(٢) الأوكية : جمع وكاء وهو رباط القربة .

(٣) المخضب : إناء كبير أو إجانة تغسل فيها الثياب .

(٤) معروف أن الرسول عليه السلام صلى وراء أبى بكر فى تلك الأيام صلاة تامة ، وأنه خرج يوماً فصلى بجانبه ، فتحول أبو بكر مأموماً يسمع الناس تكبيره .

(٥) قيل إنه توفى صلى الله عليه وسلم فى أول يوم من ربيع الأول وقيل فى اليوم الثانى منه ، وقيل بل فى الثانى عشر ، وهو الأرجح .

شُقْران مولاه . وقد ذكرنا فى صدر كتاب الصحابة سؤاله فى هذا المعنى .

ولم يصدِّق عمر بموته ، وأنكر على مَنْ قال : مات ، وخرج إلى المسجد ، فخطب ، وقال فى خطبته : إن المنافقين يقولون إن رسول الله - ﷺ - توفِّى ، والله ما مات رسول الله ﷺ ، ولكنه / ذهب إلى ربه كما ذهب موسى [عليه[1] السلام] ، فقد غاب عن ١٥٤ ظ
قومه أربعين ليلة ، ثم رجع إليهم ، والله ليرجعنَّ رسول الله . كما رجع موسى ، فليقطعنَّ أيدى رجال وأرجلهم ، زعموا أن رسول الله مات[2] .

وأتى أبو بكر بيتَ رسول الله - ﷺ - فكُشف له عن وجهه ﷺ ، فقبَّله ، وأيقن بموته . ثم خرج فوجد عمر [رضى الله عنه] يقول تلك المقالة ، فقال له : اجْلِسْ ، فأبى عمر ، فقال له : اجلسْ ، فأبى . فتنحَّى عنه ، وقام خطيبا ، فانصرف الناس إليه وتركوا عمر . فقال أبو بكر [رضى الله عنه] :

أما بعد فمن كان يعبد محمدا فإن محمدا قد مات ، ومَنْ كان يعبد الله فإن الله حَىٌّ لا يموت ثم تَلاَ : (وما محمدٌ إلا رسولٌ قد خَلَتْ من قبله الرُّسُل أَفَئِنْ مات أو قُتِل انقلبتم على أعقابكم الآية) . قال عمر [رضى الله عنه] : فلما سمعتها من أبى بكر عرفت ما وقعتُ فيه ، وكأنى لم أسمعها قَبْلُ .

ثم اجتمع المهاجرون والأنصار فى سَقيفة بنى ساعدة ، فبايعوا أبا بكر رضى الله[عنهم[3] أجمعين] . ثم بايعوه بيعة أُخرى من الغَدِ على مَلأٍ منهم ورِضًا . فكشف الله به الكُرْبة من أهل الردة ، وقام به[4] الدين . والحمد لله رب العالمين .

كمل كتاب الدرر
بحمد الله وعونه
وحسن توفيقه

---

(١) زيادة من ر . وكذلك الزيادات التالية .

(٢) انظر فى عدم تصديق عمر بوفاة الرسول وخطبة أبى بكر فى الناس وبيعة السقيفة صحيح البخارى ٦/٥ وما بعدها .

(٣) هكذا فى ر وفى الأصل : رضى الله عنه .

(٤) كتب مقابل النسخة بإزاء هذه العبارة : بلغ مقابلة .